أقسام النفس فى القرآن الكريم

يرى المحقق فى القرآن فصلاً واضحًا بين النفس والروح، فالنفس أنواع شتى فهى خاضعة للتطور والتكيف والتخلق. أما الروح فهى جوهر الخلود والوجود، الحاكمة على الكيان الإنسانى جسدًا ونفسًا وعقلاً. ولها مجال بحث قادم، فلنذكر الآن ما ورد عن النفس فى القرآن الكريم وهو القول الفصل فى الموضوع :

للنفس عدة صفات، ذكر الله تعالى ثلاثًا منها فى كتابه الكريم وهى :

الأمّارة؛ قال تعالى : ﴿إنّ النفس لأمّارة بالسوء﴾[1] وهى أرزلها..

---

(١) سورة يوسف آية ٥٣.

واللوّامة؛ قال تعالى: ﴿لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوّامة﴾[1]، وهي أوسطها..

والمطمئنة؛ قال تعالى: ﴿يأيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾[2]، وهي أشرفها..

أما الأمّارة فهي الموافقة للشهوات الشيطانية الظلمانية التي ينشأ عنها جميع الأفعال الذميمة. وكونها أمّارة بالسوء يفيد المبالغة؛ وسبب ذلك أن النفس من أوّل حدوثها قد ألفت المحسوسات والتقت بها. فأما شعورها بعالم المجردات وميلها إليه فذلك لا يحصل إلّا نادرًا. قال الإمام ابن عربي: «خلقت النفس على جبلة الأمارية بالسوء طبعا. فإذا تركت على طبعها فلا يأتي منها إلّا الشر، ولا تأمر إلّا بالسوء. ولكن إذا رحمها ربها ونظر إليها بعين العناية يقلبها من طبعها ويجعل أماريتها مبدلة بالمأمورية، وشرّيريتها بالخيرية، وإذا تنفس صبح الهداية في ليلة البشرية، وأضاء أفق سماء القلب صارت لوّامة ولامت نفسها على ما صدر منها من القبائح والعيوب فتندم وتتوب. وإذا طلعت شمس الهداية من أفق العناية صارت النفس ملهمة فألهمها فجورها وتقواها. وإذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية

---

(١) سورة القيامة الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة الفجر الآيتان ٢٧، ٢٨.

وأشرقت الأرض بنور ربّها صارت النفس مطمئنة مستعدّة لخطاب ربّها بقربه ﴿ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾[1].

وأما النفس اللوّامة فهي المتعرّضة للنفس الأمّارة الشهوانية، وهي الزاجرة لها عن قبيح أفعالها. فإذ صدر من الأمّارة فعل ردىء تعرضت لها ولامتها على ما صدر منها من القبائح والعيوب وزجرتها عنه.

وأما النفس المطمئنة فهي المستقرّة الثابتة المتيقّنة بالحق فلا يخالجها ريب؛ لأنها استنارت بنور القلب فتحلّت بالأخلاق الحميدة، وتخلت عن الأخلاق الذميمة. والاطمئنان لا يحصل إلّا بالله وذكره والتفكير في الذات العالية الشريفة والصفات الشامخة المنيفة. قال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾. لأن القلوب أربعة: قلب قاس، وهو قلب الكافر والمنافق باطمئنانه بالدنيا. قال تعالى ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا بها﴾[2] وقلب ناس، وهو قلب المسلم المذنب، قال تعالى: ﴿فنسي ولم نجد له عزمًا﴾[3]. فاطمئنانه بالتوبة ونعيم الجنة. قال تعالى: ﴿فتاب عليه وهدى﴾[4]. وقلب مشتاق،

---

(١) سورة الفجر آية ٢٨. (عن كتاب «إزالة اللبس عن حقيقة النفس».

(٢) سورة يونس آية ٧.

(٣) سورة طه آية ١١٥.

(٤) سورة طه آية ١٢٢.

وهو قلب المؤمن المطيع، فاطمئنانه بذكر الله. قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[1]. وقلب وحداني، وهو قلب الأنبياء وخواصّ الأولياء باطمئنانه بالله وصفاته. قال الله تعالى لخليله؛ ﴿أولم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾[2] بتجليك له فأكون بك محيي الموتى؛ ولهذا إذا تجلى الله تعالى لقلب العبد يطمئن به فينعكس نور الاطمئنان من مرآة قلبه إلى نفسه فتصير النفس مطمئنه به.

أما أقسام النفس الأخرى فهى كما جاء بها السيد إدريس ابن الشريف الحسنى العلوى فى مخطوطه النادر «إزالة اللبس عن حقيقة النفس»:

«النباتية، والحيوانية، والإنسانية، والناطقة، والقدسية، والرحمانية، ونفس الأمر، والشجية..

«أما النباتية فهى كمال أوّل بجسم طبيعى. والمراد بالكمال ما يكمل به النوع فى ذاته. ويسمى كمالاً أوّلاً كهيئة السيف للحديدة أو فى صفاته. ويسمى كمالاً ذاتيا كسائر ما يتبع العوارض مثل القطع للسيف، والحركة للجسم، والعلم للإنسان، وغير ذلك..

---

(١) سورة الرعد آية ٢٨.

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٠.

« وأما الحيوانية فهى كمال أوّل لجسم طبيعى متحرك بالإرادة.

« وأما الإنسانية فهى كمال أوّل لجسم طبيعى يدرك الكليات ويفعل الأفعال الفكرية.

« وأما الناطقة فهى الجوهر المجرد عن المادة فى ذواتها، مفارقة لها فى أفعالها. فإذا سكنت تحت الأمر من غير التفات للشهوات ولا نظر للشوق فهى المطمئنة. وإذا لم يكن سكونها تامًا ولكنها تتعرض للنفس الشهوانية لكى تردّها عن قبيح أفعالها فهى اللوّامة. وإن ركنت إلى اللذّات واسترقّتها الشهوات فهى الأمّارة.

« وأما القدسية فهى التى لها ملكة استحضار جميع ما يمكن للنوع أو قريبًا من ذلك على وجه يقينى، وهذا غاية الحق وهو سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب، ويقابله الفكر وهو أدنى مراتب الكشف. ثم لا يزال العبد مترقيًا فى هذه الدرجة حتى يصير مطلقًا على ما وراء الحجب من المعانى الغيبية والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا.

« وأما الرحمانى فهو عبارة عن الوجود العام المنبسط على الأعيان عينا وعن الهيولى الحاملة لصور الموجودات. والأوّل ترتب على الثانى. سمى به تشبيهًا لنفس الإنسان المختلف بصور الحروف مع كونه هواء سابقًا فى نفسه، وعبر عنه بالطبيعة عند الحكماء، وسميت الأغيار

كلمات تشبيهًا بالكلمات اللفظية الرافعة على النفس الإنسانى بحسب المخارج. وأيضا كما تدل الكلمات على المعانى، كذلك تدلّ أعيان الموجودة على موجودها وأسمائه وصفاته وجميع كمالاته المشابهة له بحسب ذاته ومراتبه.

«وأما نفس الأمر فهى عبارة عن العلم الذاتى الحاوى لصور الأشياء كلها كلية وجزئية، عينيّة كانت أو علمية.

«وأما النفس الشجيّة فهى الغائبة عن نفسها، الغريقة فى بحر المحبة الإلهية، والصفات العالية من غير التفات للشىء.»[1]

---

(١) يتفق ذلك مع رأى أرسطو فى النفس فيما يتعلق بالنفوس الثلاثة (الناتية، والحيوانية، والناطقة.